المحاضرة رقم III : تكوّن وتحوّل المؤسسة

لايمكن تصور المؤسسة الاقتصادية بالشكل المتعارف عليه اليوم لأنّ ماوصلت إليه هذا نتيجة تطور متوازن مع تطور الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية وتعاقب الحضارات البشرية وبالتماشي مع الذكاء الإنساني الذي كان في كل مرة يطور أداءه بزيادة وتطور حاجاته.

ولم يكن ظهور وتطور المؤسسة وليداً للأنظمة الحديثة (الرأسمالية الاشتراكية) بل كان قبل ظهورها بدأ من الانتاج الأسري ثم الحرفي إلى حين الوصول إلى ظهور المصنع MANIFACTURE

ويمكن أن نحلل هذا التسلسل التاريخي على النحو التالي:

المرحلة ① : تميزت بعدة أشكال منها:

* الانتاج الأسري البسيط: استمر هذا الشكل إلى حدود القرن 18 وتركزت آنذاك حياة الناس في الجانب الزراعي فشكلت نشاطات الفلاحة وتربية الحيوانات أهم أعمال الانسان في ذلك العصر وأهم مورد لتلبية حاجاته الأساسية ولم تكن التجارة معروفة في ذلك الوقت إذ أن المنتجات البسيطة لم تصنع لأغراض تجارية ولكن وفقا طلبات محدودة الكمية والزمن وقد كانت المعاملة تتم حسب نظام المقايضة بين الاسر الصانعة للأدوات والأسر المستعملة لها.

* وحدات حرفية: إن ازدياد أعداد السكان في القرى والتطور الحضاري جعل المجتمع ينتقل من الطابع القروي

إلى الطابع الحضري وهو ما أدى الى تحول العمال من المزارع إلى إنشاء حرف مستقلة حيث تجمع الحرفيون في وحدات حرفية

التجمعات الحضرية الناشئة وارتفاع الطلب على المنتجات الحرفية وظهور العمال المستقلين في أعمالهم بمنازلهم أو في أماكن أخرى أدى إلى تكوين ورشات يجتمع فيها أفراد تتشابه حرفهم تحت إشراف حرفي من بينهم عادة ما يكون أقدمهم.

نظام الحرف لم يواصل المسيرة وتدهور نتيجة:

- وجود حرفيين مستقلين منافسين للتجمعات الحرفية زيادة على سيطرتهم السلع بأثمان منخفضة.
- فروج الصناع عن الصرامة التي فرضها نظام الحرف وكونوا هم كذلك ورشات منافسة وهو ما أضعف سلطة المعلمين
- بعض المعلمين نتيجة ثرائهم تحولوا الى تجهيات تجارية وظهرت مصانع كبيرة مما أدى الى نزاعات في التجمعات الحرفية للتدرج الى ورشات صغيرة تقوم بإنتاج جزئية واحدة من الناتج الكلي الذي كان يحدث في التجمعات الحرفية.
- إزدياد حجم السوق وازدياد الطلب على المنتجات مع ظهور طبقة التجار وعمليات التخزين و البيع بالجملة أدى الى ثراء طبقة التجار التي ساهمت في الوصول إلى الثورة الصناعية.

* النظام المنزلي: إن ظهور هؤلاء الرأسماليين التجاريين الذين تكفلوا بتمويل النظام الحرفي المنزلي جعلهم يقومون بتمويل الأسر في المنازل بمواد الانتاج أو القيام بمرحلة من مراحل إنتاج سلعة معينة، حيث كان المكلف بالانتاج يعمل بالطاقة التي يريدها في بداية ظهور هذا النوع من الانتاج وساد ذلك في القرن 13 ببريطانيا وازدهر خاصة في القرن 15 حتى منتصف القرن 18 حيث عاصر النظام الحرفي حتى نهايته، كما شهد بداية النظام الصناعي لكن مع مرور الوقت أصبح التاجر سلطة على الحرفيين في المنزل باستعماله عدة طرق: 1- الدفع الفوري 2- التنسيق (هذا أدى إلى خضوعهم للتاجر الذي أصبح يطالب بمظاهر الانتاج بالمواصفات التي يريدها. وبالكميات التي يرغب بها وبالمواعيد التي يختارها

* نظام المانيفاكتوريا MANIFACTURE: إن تغير أذواق المستهلكين الأوربيين وارتفاع المستوى الحضاري وظهور الاكتشافات الجغرافية وتوسع استيراد المواد الأولية أدى إلى ثراء طبقة التجار الرأسماليين الذين إمتلكوا وسائل الانتاج، واستطاعوا في مرحلة معينة جمع الحرفيين في مكان واحد لتسهيل مراقبتهم بشكل أحسن وهكذا ظهرت المصانع

في شكلها الأول، حيث تميز هذا النظام بـ:

- صاحب العمل هو الذي يشغل ويطرد العمال ويأمر وينهى
- يجلب المواد الأولية
- يصرف المنتجات
- يشرف على العملية الانتاجية من بدايتها الى نهايتها
- ينحصر دور العمال في تنفيذ البرنامج فقط عكس ما كان يتمتع به في النظام الحرفي من إشراف على العملية بكاملها.

* المؤسسات الصناعية الآلية: نتيجة الاكتشافات العلمية الموجهة للانتاج الصناعي واتساع السوق وظهور النظام المصرفي ولعبه دورا كبيرا كل هذا أدى إلى ظهور المؤسسات الآلية التي اعتمدت على وسائل عمل آلية، كاكتشاف آلة الغزل 1733 والذي ساهم في تطور المؤسسة الصناعية الآلية بالاضافة الى:

- الدور الذي لعبته شركة الهند الشرقية البريطانية وشركات أخرى.
- ظهور المؤسسات المالية الكبرى كبنك أمستردام 1608 وبنك إنجلترا 1694.
- ظهور الاختراعات التقنية كآلة نسج الحرير 1733 وظهور صناعة الطاقة.
- انفصال الكنيسة عن الحياة العلمية أعاد الاعتبار للعقل البشري وقد كانت الأفكار السائدة في القرن 18 بالحرية الاقتصادية وحرية الفرد والملكية الخاصة لوسائل الانتاج ... الخ

المرحلة ② : التكتلات الاحتكارية

الأزمة الاقتصادية العالمية التي مست العالم في الثلاثينيات وما عقبه كينز من أفكار تدعو إلى تدخل أكبر للدولة في الحياة الاقتصادية وهو ما نشأ عنه تجمعات اقتصادية كبرى أخذت عدة تسميات منها :

* الكارتل Cartel : وهي تعني تجمع مجموعة مؤسسات تعمل في نفس القطاع تتفق على : تحديد الأسعار للمواد المنتجة - اقتسام حصص السوق .

تبقى هذه المؤسسات مستقلة من الناحية المالية والقانونية وتقوم بتقسيم السوق ويختلف مفهوم المنافسة فيما بينها ، ومن أهم هذه التجمعات : نقابة الفحم بألمانيا 1843 ، وكارتل الحليب 1804 .

* التروست Trust : عكس الكارتل يعبر عن اندماج عدد من المؤسسات تفقد فيها شخصيتها القانونية واستقلالها المالي وتتم تجمعات التروست بعدة طرق :
- اندماج عدد من المؤسسات - شراء مؤسسة من طرف مؤسسة أخرى - شراء جزء من أسهم شركة من طرف شريكة أو مؤسسة عن طريق البورصة ويترتب على ذلك أغلب المساهمين هم أصحاب الشركة المشترية للأسهم ومن الأمثلة الشهيرة عن تجمعات التروست نجد : شركة البترول موتورز الأمريكية ،

* الهولدينغ Holding : ويتمثل في شراء البنوك والمؤسسات المالية (هيئة) لتتمكن من التوسع الأسواق المالية

والمؤسسات الاقتصادية) أصبح بإمكان هذه المؤسسات، عن طريق البورصة شراء أسهم هذه المؤسسات الاقتصادية، الصناعية التجارية، والمالية، وسواء كانت متشابهة أم مختلفة، تصبح هذه الشبكة من المؤسسات تحت توجيه المالكين الماليين وكل دون أن تفقد استقلاليتها القانونية الأصلية، يوجد حاليا بالتولديغ العمومي ويشمل مجموعة من المؤسسات العمومية ويقوم بتسييرها والاشراف عليها جهاز يسمى بالتولديغ مثلما كان موجودا في الجزائر قبل حله وتعويضه بمجلس مساهمات الدولة.

المرحلة ③ : نتيجة التوسع والحجم الذي وصلت التجهات الاقتصادية وزيادة الانتاج والبحث عن أكبر الفرص للربح اتجهت هذه المشاريع إلى التوسع خارج بلدانها الأصلية لتنشأ شركات تسمى بالدولية أو العالمية أو الشركات العابرة للقارات أو متعددة الجنسيات... إلخ وهي مجموعة من المؤسسات ذات الانتماءات القومية المختلفة ولكنها موحدة من خلال استراتيجية عامة للإدارة: